العمليات العسكرية الفرنسية في الجزائر المنطقة الأولى –الاوراس النمامشة– معركة الجرف 22–29سبتمبر 1955

د.يحياوي عبد الوهاب

جامعة الجزائر 2 " أبو القاسم سعد الله".

ملخص:

شكلت الهجومات الأولى إثر اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية حالة من الرعب والخوف في الوساط الفرنسية ، من مستوطنين وإداريين وعسكريين ، فلم يكونوا يتوقعون وقوع هجمات من طرف الجزائريين بعد تفكك المنظمة الخاصة ومحاكمة أفردها وهروب وتشتت البعض منهم ، وأمام هذه الحالة جندت قوات الجيش كل أفرادها في محاولة منهم القضاء على الثورة من بدايتها، وأقدمت على حصار منطقة الأوراس ، ضنا أن القضاء على أفراد جيش التحرير بالمنطقة الأولى هو الرهان الأكبر للقضاء على الثورة ، فقامت عدة معارك ضارية بين الطرفين من بينها معركة الجرف الشهيرة .

الكلمات المفتاحية : المنطقة الأولى ، الأوراس ، الجرف ، تبسة ، شيهاني بشير .

Abstract:

The first attacks after the outbreak of the Algerian liberation revolution constituted a state of terror and fear in the French media, from settlers, administrators and military, they did not expect attacks by the Algerians after the disintegration of the private organization and the trial of its members and the escape and dispersion of some of them, and in front of this situation the army forces recruited all its members in an attempt to eliminate the revolution from its beginning, and the siege siege of the Aures region, thinking that the elimination

of members of the Liberation Army in the first region is the biggest bet to eliminate the revolution, so several fierce battles took place between the two parties, including the famous Battle of Al-Jurf

Keywords: First Region, Auras, Jurf, Tebessa, Chihani Bashir.

مقدمة :

تعتبر المنطقة الأولى التاريخية أوراس اللمامشة نقطة تحول في تاريخ الثورة الجزائرية، نظرا لطبيعتها الجغرافية و أبطالها المجاهدين الذين وقفوا في وجه العدو بكل عزم و شجاعة و صمود رغم ما تعرضوا له من تضييق و خناق من قبل السلطات الاستعمارية.

كانت هذه المنطقة مسرحا لعدة معارك خاضها جيش التحرير الوطني، و من بين أهم هذه المعارك معركة الجرف التي قامت بعد عشرة أشهر من اندلا ع الثورة التحريرية، في 22 إلى 29 سبتمبر 1955.

تطرقنا في هذا البحث إلى الإشكاليات التالية:

- ماهو الموقع الجغرافي لمنطقة الجرف؟
- ماهي أسباب انتقال القيادة من القلعة بخنشلة إلى الحدود الشرقية؟
- ماهي أسباب المعركة و سير أحداثها؟
- ماهي نتائج المعركة؟

1– الموقع الجغرافي لمنطقة الجرف:

ينحدر جبل الجرف من سلسلة الجبل الأبيض على بعد حوالي 100كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة تبسة، مقر الولاية، جنوب الشريعة و يبعد عنها بحوالي 7 كلم

تقريبا، كما يقع جنوب شرقي مدينة خنشلة بحوالي 110 كلم و غربي بئر العاتر بحوالي 200 كلم (1) .

حيث يحده من الشمال الشريعة و جبل قساس و من الجنوب الشرقي نقرين و من الشرق يحده كل من جبال العنق و جبل غيفوف، و يقع جبل الجرف على امتداد الطريق الوطني رقم(10) الرابط بين تبسة و الشريعة (2).

منطقة الجرف أو وادي هلال عبارة عن فجاج صخرية عميقة تتخللها بعض الكهوف و المغارات الطبيعية التحت أرضية، تتسع و تضيق حسب الموقع، و تعلو جبال الجرف صخرتان عظيمتان، و في الأسفل يجري وادي هلال أو وادي الجرف، و تبرز في ضفتي الوادي نبوءات و تجاويف صخرية حصينة تشكل القلعة.

و لهذا فقد كان المجاهدون المتمركزون في هذه القلعة الطبيعية المحمية عن ضربات العدو سواء قذائف المدفعية الثقيلة أو قصف الطائرات (3).

2– أسباب معركة الجرف

لم تكن معركة الجرف نتيجة صدفة ولا كشف العدو لتحركاتهم وإنما بفعل التخطيط بهدف تحقيق الهدف الأسمى (4).

حيث جاءت بفعل أسباب مادية ونفسية حيث تتفق أغلبية المصادر على أن اجتماع الطرفة هو السبب المباشر للاندلاع المعركة حيث وصلت أخبار الاجتماع للعدو الذي كان على استعداد لشن هجوم فقام البشير الشيهانيبإرسال دورية يقودها محمد بن عجرودإلى ناحية شريعة للتنسيق وربط الاتصال .إلاأنها ماكادت تصل إلى "أم خالد" حتى دخلت في اشتباكات مع العدو وقد كان عددهم يتراوح بين 20و30وعند سماع القيادة المتحصنة في الجبل قررت المسارعة لفك الحصار عنها (5).

أما عن الأسباب غير المباشرة نذكر منها:

قيامها بعد 10 أشهر من تفجير الثورة المجيدة التي مازالت تعاني من عدم الاعترافبها دوليا بسبب تعقيد لقضية الجزائرية باعتبار الجزائر ارض فرنسية أمام القانون الدولي والمنظمات الدولية .

كما كانت الثورة تعاني من شك البلدان الشقيقة في مدى إمكانية نجاحها و دعمها لها محتسم ينتظر مدى جدية تمسك الثوار بالثورة

في إطار غياب مصطفى بن بولعيد حيث كانت منطقة الأولى تتعرض لحصار خانق ومسح عسكري شامل فقام نائبه البشير الشيحانيبإعداد خطة مضادة عسكريا ضد العدو لفك الحصار على المنطقة الأولىفأعطى تعليمات لجميع القادة لاتخاذ الحيطة والحذر إلى وحدات صغيرة والاستمرار بالتحرك و المناورة لتفادي ضربات العدو إلى جانب قيامه بتعيين مجموعات للقيام بتعطيل القوات القادمة إلى معاقل الجنود الرئيسية بالمنطقة وهو الأمر الذي جعلهم يصطدمون مع القوات العدو بمعركة ام الكماكم حيث كان البشير الشيحاني هو قائدها حيث يتفق الباحثون على أنها كانت مقدمة للمعركة الجرف وذلك حسب شهادة المجاهد الكبير العيد بوقطوف. حيث يؤكد أنهذه المعركة أعطت درسا لفرنسا حيث لم تستطع القضاء على المجاهدين مما جعلها تفكر في الانتقام واسترجاع هيبتها (6).

3–سير معركة الجرف:

لما بلغ الجيش الفرنسي أنباء عن وجود وحدات هامة من المجاهدين بقيادة شيهاني بشير، أرسل قوات ضخمة إلى منطقة الجرف قرب تبسة و ذلك في 22سبتمبر 1955، و فرض حصارا خانقا على المنطقة و عزم على إبادة جميع الثوار المتواجدين بالمنطقة و على رأسهم شيهاني بشير، و الثأر مجددا من هجومات الشمال القسنطيني التي مر عليها نحو شهر (7).

قبل أن نبدأ بسرد أحداث معركة الجرف علينا أن نذكر أولا بعض الأحداث المهمة التي سبقت هذه المعركة وكانت كما يلي:

تم التحضير لاجتماع عدد من المواطنين مع القائد شيهاني بشير و هذا في المكان المسمى "رأس الطرفة"، و الغرض منه تحسيس المواطنين بقيمة الثورة و ضرورة معاونتها و العمل على نجاحها.و حدث هذا قبل (05) أيام على المعركة.و بعد انتهاء الاجتماع تسربت أخبار إلى (5) العدو و مفادها أن مجموعة من المجاهدين يتراوح عددهم حوالي (350) مجاهدا متمركزين بجبل الجرف، حين ذلك جند العدو قواته باتجاه القلعة (جبل الجرف) و في طريقه إلى الجرف اشتبك مع وحدة متقدمة من المجاهدين تعدادها حوالي (28) مجاهدا تحت قيادة الشهيد محمد بن عجرود و استمر القتال بضراوة إلى ما بعد منتصف النهار حتى استشهدوا جميعا.

في يوم 22 سبتمبر 1955م: نشبت معركة الجرف بين المجاهدين الثلاثمائة، و عساكر الجيش الفرنسي المهاجمين، بحماية المدرعات باتجاه الجهة الشمالية، حيث تتمركز القيادة)

و كان العدو قد بدأ قصف مراكز المجاهدين الدفاعية بسلاح المدفعية ثم أعقب هذا القصف تقدم سلاح المشاة من اللفيف الأجنبي تتقدمهم الدبابات، و يظهر أن عدم معرفة العدو بتحصينات جبل الجرف قد تسبب في هزيمته المبكرة (8).

أثناءها،أدرك قادة الجيش الفرنسي، استحالة تقدمهم إلى مرابض المجاهدين،فاعتمدوا على قصف الطائرات التي صبت قنابلها الغازية المحرقة لتغطية تقدم المهاجمين،إلا أنهم في كل مرة يتراجعون ويولون الأدبار،تاركين قتلاهم وجرحاهم في الميدان،وقد اظهر المجاهدون بسالة في الصمود طيلة اليوم المشهود(

اليوم الثاني: 1955/09/23:

لم يتبع العدو(التكتيك)الأول بحذافيره حيث لجأ في صبيحة هذا اليوم إلى القصف

بواسطة المدافع بعيدة المدى (وهذا حتى يتجنب إصابات مع ما وقع في اليوم الأول

و بهذه البطاريات المتواجدة بالأماكن القريبة من الجرف،واستمر هذا القصف لبعض

الوقت من الصبيحة ثم تلاه قصف قصير المدى بواسطة مدافع الهاون التي كانت تؤمن تقدم وحدات العدو نحو المجاهدين.

وعلى بعد معين فتح المجاهدون نيران رشاشاتهم وأسلحتهم على العدو وأجبروهم على عدم التقدم ولم ينجح كل من حاول ذلك،واستمر القتال ساعات من النهار تكبد فيها العدو خسائر في الأرواح والعتاد مما اضطره إلى التراجع للخلف قصد الاحتماء بالدبابات والطائرات،وكانت فلول النجدة تصل تباعا للعدو من المراكز المجاورة و القريبة من قلعة الجرف حتى انه هذا اليوم كانت المسافة أحيانا بين جنود العدو و المجاهدين تصل ما بين20-25م،واستمر القتال إلى ساعة متأخرة من الليل حيث غنم المجاهدون بعض الأسلحة.

وفي الليل حاول المجاهدون الخروج مرة أخرى من ميدان المعركة لكن لم يستطيعوا نتيجة للعدد الهائل من جنود العدو الذين يحرسون المنافذ وقد أحكموا غلقها وكان لا بد من يوم أخر (9).

اليوم الثالث 24 سبتمبر:

ثارت ثائرة قادة الجيش العرمرم في جبل الجرف، فأصدروا أوامرهم إلى جميع الوحدات بالهجوم على عدة محاور لمخادعة جيش التحرير الوطني، الذي تحصن في مواقع أكثر مناعة يستحيل بلوغها، و صار ميدان المعركة شاسعا لا يمكن حصاره (10).

استطاع المجاهدون في هذا اليوم رغم الحصار الخانق الذي فرض عليهم أن يلحقوا خسائر معتبرة بالعدو حيث أسقطوا ثلاث طائرات(اثنتان قتالية و واحدة استطلاعية)، دبابتين، و ثلاث مزنجرات، وغنم كميات من الأسلحة و الخراطيش التي بقيت في ميدان المعركة و عاد كل إلى مكانه بعد أن داهمهم الليل (11).

معركة اليوم الرابع 25 سبتمبر 1955:

استعد لها المجاهدون ليلا إذ أنهم أعادوا التوزيع و راجعوا المواقع و احتاطوا لتقديرات العدو و لما حاول التقدم في الصباح تحت مظلة المدفعية والهاونات وقع في فخ لم يتوقه، فأصابه الارتباك، فاستلزمهم الموقف أن يستعينوا بالطيران و توسيع القصف.

أعيد توزيع المجاهدين في مواقعهم بالليل استعدادا لمعركة اليوم الخامس، كما أرسلت قيادة الثورة دوريات فدائية لكشف قوات العدو، و بلغ القيادة الثورية عن طريقها أن العدو استقدم قوات جديدة من باتنة و تلاغمة، سطيف، بريكة، بوسعادة، بسكرة، و قد تمركزت على طول الخط الفاصل بين جبال الأوراس و جبال النمامشة كحصار و حصن منيع بين غرب الأوراس و شرقه.

كما استعمل العدو في هذا اليوم غازات سامة (لأول مرة في تاريخ الثورة) و اتخذ المجاهدون إجراءات لإبطال هذه الغازات (النبالم) (12).

و في هذه الليلة و نتيجة لعدة عوامل أهمها نفاذ الذخيرة من أكل و شرب و كذلك قوات العدو التي كانت تصل إلى مكان المعركة تباعا و قوافل، علاوة غلى ذلك أسراب الطائرات التي أثرت كثيرا في موازين القوى، كل هذه الأسباب جعلت القيادة تقرر الانسحاب (13) .

اجتمعت القيادة بقادة الفصائل، و أصدرت أمرها بالخروج،و أوكلت المهمة لدورية من المجاهدين لكشف الطريق تم كشفها من طرف العدو على بعد 200مترا فأعطت إشارة للمجاهدين و دخلت في اشتباك عنيف مع العدو.و كان خروج المجاهدين في 3 مجموعات بقيادة كل من عاجل عاجول و فرحي ساعي و عباس لغرور و اتجهوا نحو العدو مستعملين السلاح الأبيض ،و في مدة قصيرة تم القضاء على كل الجنود الفرنسيين مما سمح لهم بخرق الجبهة الجنوبية و غنم كل الأسلحة. و على بعد 400 متر صادفوا قافلة من البغال محملة بالذخيرة و العتاد الحربي يقودها عساكر و عملاء من الحركى فقضوا على الكثير من أفراده

و قادوا تلك البغال بما حملت و كانوا يعتقدون بأنهم تحرروا من الحصار و بعد 1 كلم فوجؤوا بوجود طوق جديد للعدو فاشتبكوا مع جنود الطوق و غنموا بعض الأسلحة و أكملوا الطريق متجهين نحو الجنوب أي جبل مسحالة و الجديدة، مع العلم أن القائد شيحاني بشير بقي في الغار وسط الكهف(جبل الجرف) رفقة بعض من رفقائه أكثر من أسبوع، و عند خروجهم من المغارة التحقوا بإخوانهم بضواحي جبل الجديدة و بوصولهم تنتهي أحداث أكبر معركة عرفتها المنطقة ألا و هي:معركة الجرف الكبرى (14).

4– نتائج معركة الجرف

تعتبر المعركة من أشرس المعارك خلال بداية الثورة الجزائرية وكانت الجرف من أخطرها على عدو الفرنسي إذ يعترف القادة الفرنسيين أنفسهم يعترفون أن معركة جرف كبدتهم خسائر فادحة عسكريا وسياسيا (15).

1/عسكريا

** إصابة 21 طائرة و 10دبابات و 30 مجنزرة و 60شاحنة معطلة و مدمرة و غنم المجاهدون 150قطعة سلاح والاستيلاء على ذخائر حربية تقدر حمولتها ب20 بغلا . قتل 700 فرد و جرح 350رجلا من جنود العدو أما بالنسبة للمجاهدين فقد استشهد حوالي 170شهيدا وجرح منهم 45 جريحا واحرق زهاء 30قرية ومشتة ودوار ونفى الكثير من المجاهدين إلى محتشد الجرف بمسيلة و بوسوي و أرزيو .

وغنم المجاهدون أيضا 25 رشاشا و 7 من نوع بندقية رشاشة و هاونين عيار 60مم و 7 بندقيات من نوع (49ماط)و 4بندقيات (ماص36) و4 أجهزةللإرسال (16).

2/سياسيا

انعكست أثار المادية في الجانب المعنوي خاصة على بعض النفوس ممن لهم تأثير بالجانب السياسي الفرنسي فقد قدم عدد من نواب بالبرلمان استقالتهم احتجاجا منهم على

استعمال الجيش الفرنسي للغازات السامة المحرمة دوليا استعمالها التيأدتإلى تسجيل القضية الجزائرية لأول مرة بهيئة الأمم المتحدة مما افقدهم الكثير من المهابة الدولية . إلى جانب أن معركة الجرف كلفت خزينة الدولة الفرنسية يوميا على مدار أسبوع مليونا من الفرنكات (17).

خاتمة

بعد دراستنا لمعركة الجرف نستخلص النتائج التالية:

1- لعبت المنطقة الأولى التاريخية دورا بارزا في الثورة لما تتمتع به من موقع جغرافي متميز صعب على المستعمر مراقبته.

2- تعتبر منطقة لأوراس اللمامشة قاعدة إستراتيجية لجيش التحرير الوطني مما جعل قيادة الثورة تتخذ من جبالها قاعدة خلفية للثورة.

3- حسن إدارة المعركة و تسييرها الدقيق، رعي فيه الانضباط التام للأوامر و التعليمات التي كانت القيادة تصدرها إلى الأفواج و قد شكل ذلك ضغطا كبيرا لإدارة الاحتلال التي سعت بكل الوسائل إلى إخماد هذه المعركة.

4- رغم عدم التكافؤ بين الطرفين تمكن جيش التحرير الوطني بفضل إستراتيجيته و إمكاناته البسيطة من قهر العدو و إلحاق الهزيمة به و غنم الأسلحة و الذخيرة.

5- معركة الجرف كانت دافعا للتعريف بالقضية الجزائرية بطريقة أوسع و أشمل و تسجيل القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة.

6- هذه المعركة لقنت فرنسا درسا لن تنساه أبدا كما قال الشهيد البطل العربي بن المهيدي.

قائمة المصادر و المراجع

- زبيري الطاهر، **مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين (1929–1962)**، منشورات ANEP ، الجزائر، 2008.
  - عمار ملاح، **محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر1954**،ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2012.
  - مبروكة مزاهدية،***معركة الجرف 29/22 سبتمبر 1955، أهميتها و انعكاساتها على مسار الثورة***،رسالة ماستر في التاريخ المعاصر، منشورة، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012.
- محمد الصغير هلال، **شاهد على الثورة في لأوراس**، دار القدس العربي ،2012.
- محمد العربي مداسي، **مغربلو الرمال الأوراس– النمامشة1954–1959م**، تعريب صلاح الدين الأخذري، المؤسسة الوطنية للنشر،الجزائر، 2011.
- محمد العيد مطمر، ***ثورة نوفمبر 54 في الجزائر (1954–1962) (أوراس–النمامشة) أو فاتحة النار***، دار الهدى عين مليلة، الجزائر،دت.
- محمد زروال ، **النمامشة في الثورة** ،دار هومه، الجزائر،2003.